فى سوق الانتخابات : مفاوضات الحكم الذاتى !

أنيس منصور

التحرير

هناك نظرية تقول : إن الإنسان عندما يشعر بالملل فإنه يخترع الشئ الذى يثيره . . الذى يهزه . . الذى يوقظه وينعش اهتمامه من جديد . . فالنبى نوح عليه السلام قد اخترع النبيذ ، بعد رحلة مملة فى سفينته . . والإنسان الحديث ابتكر الجريمة لكى ينقذ نفسه من الملل . فإذا أسرف فى الجريمة عاد يخترع الحروب لإنقاذ المجتمع من الهدوء الرتيب والسلام الممل ! .

شىء من ذلك يحدث فى العالم الآن . .

فى إسرائيل مثلا : انشغل المجتمع كله بجريمة خطف طفل اسمه أورون (٨ سنوات) . استطاعت الصحف كلها أن تسكت ثمانية أيام عن أول حادث خطف . هذا الحادث يؤكد أن المجتمع الاسرائيلى غربى بكل مافيه من عيوب : خطف وسلب ونهب وتزوير وتهريب مخدرات وهتك عرض . . واتصل خاطف الطفل بوالديه . واتفق معهما على فدية قدرها مليونا ليرة . وذهب الأب يدفع الفدية ، ووراءه بعض رجال البوليس . وفى الفدية يوجد جهاز إرسال صغير ليدل على مكان المجرم . وعجز البوليس عن معرفة مكان خاطف الطفل ؛ لأنه تنبه إلى وجود جهاز الإرسال ، ثم حطمه . وأعلن رئيس الوزراء بيجين أن الجيش سوف يتكفل بالبحث عن المجرم . وظهر أبوا الطفل فى التليفزيون يناشدان – فى هدوء عجيب – خاطفه أن يعيده إليهما بعد أن حصل على المبلغ المطلوب ! . .

إنه إسرائيل خطف إسرائيليا ، ونصب عليه ، وأهين البوليس ، فجاء الجيش يثأر للجميع . وشعر الشرقيون بشماتة فى الخواجات اليهود . وشعر الخواجات اليهود بأن إسرائيل دولة غربية ، ويجب أن تظل كذلك ، وفى نفس الوقت يجب أن تتعايش مع الشرقيين فى داخلها والشرقيين حولها . .

إذن فقد أصبحت مشكلة إسرائيل أن لها دولة . وكانت مشكلتها قبل ذلك أن شعبها ممزق مبعثر فى كل أرض . وفى المؤتمر الصهيونى السادس عشر سنة ١٩٢٩ أعلن هرتسل : أن اليهود فى عزلة . وأن هذه العزلة عذاب . وأن هذا العذاب مأساة . ولاحل إلا بأن تكون لليهود دولة . .

وأصبحت لهم الدولة . ولأنهم عاشوا ألوف السنين فى هذه العزلة والعذاب ، فإنهم لايشعرون بأدنى عطف على الفلسطينيين المبعثرين فى كل أرض ، منذ عشرات السنين . .

وكانت السيدة جولدا مائير تقول : إنه لاتوجد أرض اسمها فلسطين ، ولاشعب فلسطينى ! .

ويضيف السيد اسحاق شامير وزير الخارجية ، فيقول : ما حاجة الفلسطينيين إلى دولة ؟ إن لهم دولة قائمة هى الأردن . فهم يكونون ٨٠٪ من الشعب . . ثم إن مشكلة الضفة الغربية هى مشكلة أخرى . . فالعرب فى هذه الأرض الإسرائيلية من الصعب عليهم أن يقبلوا الحكم الإسرائيلى ، ولذلك فنحن نفكر لهم فى أسلوب ليتعايشوا مع اليهود . . فالأرض لإسرائيل ، وللعرب حرياتهم الشخصية فى ظل القانون ! . .

وكما انشغلت إسرائيل بخطف الطفل الصغير ، انشغلت مصر بحادث بغيض :

هو الاشتباك بين جماهير كرة القدم . وهذا يتكرر فى كل الدنيا . بسبب الحماسة الشديدة بين الفرق المتصارعة . ونحن لانعترض على مايحدث من حماسة ، ولكن فقط على أن يكون تخريبا ، أو يكون جارحا لحياء المشاهدين ، فنحن نعترض على ذلك أخلاقيا وتربويا ! . .

وسوف ينحسر الاهتمام بخطف الطفل ، كما يتلاشى الآن ما حدث فى ملعب الاسماعيلية . ونعود إلى القضايا التى تابعها الناس فى مصر وإسرائيل والعالم كله : مفاوضات الحكم الذاتى ، تمهيدا لأن يكون للشعب الفلسطينى وطن . ولابد أن يشعر الناس بالراحة بعض الوقت ، لابتعادهم عن هذه القضايا المعقدة والمملة أيضا . إلى أن تنعقد المفاوضات ، وتتباعد فترات انعقادها ، وتتوقف أو تتجمد عند نهاية العام ، انتظارا لنتائج الانتخابات فى أمريكا . . ثم انتظارا لنتائج الانتخابات فى إسرائيل . .

ولابد أن يكون هذا الإحساس بتوقف المفاوضات أو جمودها ، هو الذى دفع الدول الأوروبية إلى أن تفعل شيئا . هذا الشئ يجب أن يضيف إلى محادثات الحكم الذاتى أبعاداً جديدة . . أو أن يدفع المفاوضات إلى طريق أقصر وأسرع فى الوصول إلى حل شامل لقضية فلسطين . .

فليس من المعقول أن تلتقى تسع دول أوروبية لتشهر إفلاسها عن اقتراح حل أو صيغة للحل أو بديل عن اتفاقية كامب دافيد . وإلا كان هذا الإفلاس دليلاً جديدا على أن الموقف المصرى الإسرائيلى الأمريكى هو الوحيد . وعلى ذلك فلم يكن هناك أى مبرر لأن تعلن أوروبا أنها سوف تعالج العجز الأمريكى فى حل قضية الشرق الأوسط وغيرها من القضايا . .

فإن كان الذى أعلنته الدول الأوروبية هو أهمية السلام . فليس فى ذلك جديد .

وإن كان الذى أعلنته هو ضرورة مشاركة الفلسطينيين فى مفاوضات الحكم الذاتى ، فليس ممكنا ، لأن شرط المفاوضات : الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير . إذن فلا مفاوضات ممكنة .

وإن كانت الدول الأوروبية تريد أن تعود بالقرار ٢٤٢ إلى مجلس الأمن ، فالرفض الأمريكى جاهز .

وإن كان الغرض هو إحراج أمريكا ومصر وإسرائيل ، فليس هذا محرجا .

السناتور ريجان . . أكثر تطرفا من إسرائيل فى السلام والأمن والمستوطنات !

الملك حسين . . الضفة الغربية والقطاع فى جيبه فى جميع الأحوال !

د . أشرف غربال : . ثم نفى المرشح ريجان كل ما أعلنه السفير المصرى !

لأن هذه الأطراف الثلاثة قد جربت الحوار ، وانتهى بها الحوار إلى سلام مع مصر ، تمهيدا لسلام شامل مع بقية الأطراف العربية .

وإن كان الغرض من البيان الأوروبى هو مجرد إعلان تمرد على أمريكا ، فقد فعلت ذلك الدول الأوروبية فى قضايا كثيرة ، منذ الرئيس ديجول حتى الرئيس ديستان ! .

وما يحاوله الرئيس ديستان خارج المجموعة الأوروبية ومعها ، هو أن يكون لهذا البيان أنياب وأظافر . ولايهم ما الذى يمكن أن يفعله بعد ذلك . .

ثم إن عددا من الدول الأوروبية قد أعلنت انها تختلف مع الرئيس الفرنسى ديستان ، وإن كانت سوف تتفق معه فى اجتماع البندقية . والرئيس الفرنسى ديستان هو الظاهرة الجديدة فى أوروبا . فله موقف مع الدول الأوروبية ضد أمريكا . وله موقف مستقل يختلف عن الدول الأوروبية ، وهو حريص عليه أيضا . وهو موقف اقتصادى بحت . ولذلك فالدول العربية – والفلسطينيون – ليسوا سعداء بذلك . ففرنسا خذلت أمريكا فى أفغانستان . . وبريطانيا خذلت أمريكا فى إيران . . وفرنسا تخلت عن أمريكا فى الدورة الأولمبية . . والرئيس الفرنسى ديستان فاجأ الأمريكان عندما قابل الرئيس الروسى برجنيف . وإن كان من المعروف أن المواقف السوفيتية لاتتأثر كثيرا بهذه اللقاءات ، مهما كانت العناقات حارة والقبلات ساخنة !

والرئيس الفرنسى اتفق مع الرئيس السوفيتى على تدريب اثنين من رواد الفضاء الفرنسيين فى روسيا . وبذلك انضمت فرنسا ، كأول دولة غربية ، إلى برنامج الفضاء السوفيتى مع ألمانيا الشرقية والمجر وتشيكوسلوفاكيا !

والرئيس الفرنسى ديستان قد التقى سرا بكل من الأمير فهد والرئيس صدام حسين ، وكان هذا اللقاء مقدمة لرحلات الرئيس ديستان فى الخليج منذ أسابيع ، والى العراق وغيرها بعد أسابيع !

وأمام التشدد الإسرائيلى ، والمزايدات الأوروبية ، لابد أن يتشدد الشعب الفلسطينى ، ولذلك فالسيد ياسر عرفات قد أعلن ، ومعه مئات من أعضاء المجلس الوطنى ، أنه ليس فى نيتهم إلقاء إسرائيل فى البحر ، إنما فى نيتهم أن يعطوا للشعب الإسرائيلى الذى احتل فلسطين ، حق تقرير مصيره والحكم الذاتى . فالشعب الفلسطينى لايريد سوى أرضه كلها ! !

أما الملك حسين . ففى سنة ١٩٧٤ صدر عنه إعلان من الاسكندرية مع

الرئيس القذافى .. الخوف من الهجوم المصرى على ليبيا سوف يزداد فى يوليو !

السيد ياسر عرفات .. لن يكون سعيدا باليأس الأوروبى لحل أزمة الشرق الأوسط !

الرئيس السادات ، على أن يجرى حوار مع الدولة الفلسطينية قبل مفاوضات جنيف ، ولكنه رفض . وتعرضت مصر لهجوم عنيف من الرئيس الأسد ومن السيد عرفات . رغم أن هذا الإعلان كان بالاتفاق مع السيد عرفات . ثم عاد الرئيس الأسد يطلب التوسط بين مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية ! . .

وسوف يسافر الملك حسين إلى واشنطن ، للقاء الرئيس الأمريكى كارتر . وكان الرئيس الأمريكى قد رفض مقابلة الملك حسين مرتين . . وكان الملك حسين قد رفض مقابلة المبعوث الأمريكى اللبنانى الذى جاء يفاوضه فى مشكلة المياه بين إسرائيل والأردن . والملك حسين فى وضع أفضل بسبب اتفاقية كامب دافيد التى تطالبه بأن يكون طرفا . ولابد أن يكون كذلك .

ولكن الملك حسين ، بسبب إيمانه الشديد بذكائه الخارق ، لن ينقل قدما عن قدم . لأنه يضمن الضفة الغربية . ولأنه يريدها أن تكون جزءا من الأردن ، فى اتحاد فيدرالى بين ولاية صغيرة ودولة ، أو فى اتحاد كونفيدرالى بين « دولتين » ، أو أن يحقق بها حلمه الذى أعلنه فى قواته المسلحة ، وهو : المملكة الهاشمية المتحدة . وهو فى ذلك لا يختلف كثيرا عما تراه حكومة السيد بيجين ، أو حكومة السيد بيريز زعيم حزب العمل ، إذا جاءت به الانتخابات القادمة – أى أنهم جميعا على اتفاق فيما بينهم ألا تكون للشعب الفلسطينى دولة مستقلة ذات سيادة !

وليس بعيدا عن المشاورات والمناورات ذلك الجو العام للانتخابات القادمة فى أمريكا ، أو الانتخابات التى يتعجلونها فى إسرائيل أو فى فرنسا أو فى ألمانيا . .

ففى أمريكا لليهود دور خطير . ولذلك فلابد أن تحتل قضية الشرق الأوسط مكانها البارز . ولايوجد مرشح ليس له رأى محدد . هذا الرأى المحدد هو أن يؤكد ضمانه لسلامة اسرائيل ، وعطفه العميق على الشعب الفلسطينى الذى تسانده دول البترول التى يقترب منها الدب الروسى فى اليمن جنوبا وشمالا وليبيا والصومال والسودان وأثيوبيا وأفغانستان . .

وبين التأكيد الواضح والعطف الأكيد ، يدوخ رجال السياسة الأمريكان والأوروبيون . .

أما الرئيس كارتر ، فلن يسمح لأوروبا التى خذلته فى مواقف كثيرة ، أن تفسد اتفاقية كامب دافيد التى أثبتت أنها نجحت . وأنها قادرة على أن تحقق المعجزات . ولكن يجب ألا يضغط الرئيس الأمريكى على إسرائيل ، بما يجعلهم يشعرون بأنهم ولاية أمريكية – طفل شرير يتمرغ فى الشرق الأوسط ، ويرضع من ثدى أمريكا ، ويلعب بأكثر الأسلحة تطورا . .

ويجب على الرئيس الأمريكى أيضا ألا يغضب أصحاب البترول العرب ، أصحاب الطاقة وألوف الملايين من الدولارات ، ومعهم ووراءهم ٧٠٠ مليون مسلم قد وضعوا أيديهم على قلوبهم فى كل مرة يتحدث فيها السيد بيجين عن القدس – التى يجب ألا تكون عربية ! . .

حتى السناتور ريجان المرشح الجمهورى ، قد بعث برسول له فى الشرق الأوسط ، هو السيد ريتشارد ألن . جاء إلى مصر ، وقابل السيد أسامة الباز . وكان الحديث بينهما معناه أن السناتور ريجان إذا جاء رئيسا لأمريكا فسوف يمشى على سياسة الرئيس السادات فى تحقيق السلام الشامل . وأنه لاخلاف معه على شئ . بل « لايستطيع أى رئيس أمريكى أن يختلف مع الرئيس السادات الذى دخل كل بيت فى أمريكا ، رمزا للسلام والحب بين الشعوب» .

ولكن السيد ريتشارد ألن ، شكا من سوء المعاملة التى لقيها فى السعودية ، وقال « إن حكومة الرئيس كارتر قد دللت السعوديين إلى غير حد . وإن أمريكا تدفع الآن ثمن هذا التدليل الزائد على الحد المعقول » .

وكما ذهب سفير إسرائيل فى أمريكا السيد أفرايم افرون للقاء السناتور ريجان ، لاستطلاع رأيه الذى يعرفه مقدما . سافر د . أشرف غربال سفير مصر فى أمريكا للقاء السناتور ريجان . وبعث د . أشرف غربال بما يؤكد أن هذا الرجل مع مصر ومع العرب . . وصرح السفير المصرى بهذا الذى سمعه . .

وفجأة صدرت صحيفة « واشنطون ستار » بنفى قاطع لكل ما أعلنه السفير المصرى ، وفى نفس الوقت لكل ماقاله سرا المبعوث الأمريكى فى القاهرة ، أو فى الرياض ، أو فى أية عاصمة أخرى . ثم أكد حق اسرائيل فى بناء المستوطنات على النحو الذى تريد، وبالعدد الذى تشاء !

إذن فقضية الشرق الأوسط هى الطبق الساخن على مائدة الانتخابات فى أمريكا وأوروبا وإسرائيل أيضا . .

بل إن السناتور ريجان أعلن أن قضية الشرق الأوسط ليست هى القضية الأولى ، لأن المواطن الأمريكى قد تعقد من مشاكل الشرق الأوسط . ولديه قضايا أخرى أهم ، قضايا داخلية . . هيبة أمريكا فى أوروبا وفى الشرق الأوسط . . أو مشكلة الأمن القومى التى تهدد أمريكا فى داخلها وخارجها . . الخ . .

وفى إسرائيل تحاول الأحزاب السياسية أن تسحب المقعد من تحت السيد مناحم بيجين . لعله يسقط حيا أو ميتا . فتكون انتخابات عامة على الرغم منه ، أو على جثته . وليست فى الصراعات الإسرائيلية الحزبية ، لمسات إنسانية . فالمهم هو الدولة أو هو الشعب . .

والسيد بيجين قد جاء إلى الحكم لإنقاذ الأوضاع الاقتصادية . وليس الأوضاع السياسية ، ولكنه الآن أمام مشاكل الاقتصاد والسياسة . وهو يتعثر مع الأزمات . . فلايزال الشعب الإسرائيلى يتغنى بخطابه الشامل فى الحزب على أثر استقالة السيد عيزر فايتسمان . .

ولكن السيد بيجين أثار مشكلة القدس مدينة موحدة . وأثار مشكلة الإشراف الدولى على مراحل الانسحاب الأخيرة . وأعلنت مصر احتجاجها على هذا التشويش » المتعمد . وراحت الرسائل بين القاهرة وواشنطون ، وبين واشنطون وتل أبيب – ذهابا وإيابا . .

السيد سعد مرتضى : مقابلة عاجلة أيضا .

د . بن اليسار . . مقابلة عاجلة .

وفى إسرائيل ، وفى العالم كله ، من يهاجمون تشدد حكومة السيد بيجين ، ويرون فى ذلك خطرا على السلام وعلى إسرائيل نفسها . فالكاتب الاسرائيلى أموس كينان يقول : اذا عاشت جويش أمونيم ، ماتت إسرائيل ! . .

وجويش أمونيم « جماعة المؤمنين » رمز للتشدد والتعصب . .

ويهود أمريكا يقولون : لقد تعبنا من السيد بيجين ! . .

وكانت لهذه الرسائل كلها صفة الاستعجال ، حتى يتكون موقف موحد قبل الموقف الأوروبى يوم الخميس الماضى ، وفى الأسبوع القادم فى البندقية . .

وأصبحت كلمة « الاستعجال » هى الصفة الوحيدة المقبولة لاستدعاء السفراء للتشاور ، أو للمكالمات التليفونية . . أو لطلب السفراء مقابلة الرؤساء . حتى إن السفير الإسرائيلى د . بن اليسار قد طلب مقابلة عاجلة للرئيس السادات ، وتمت المقابلة التى أعلن بعدها الفريق كمال حسن على وزير الخارجية أن مصر قد قبلت التفسير الإسرائيلى . ولم يكن الاستعجال بسبب الرسالة الشخصية التى بعث بها السيد مناحم بيجين ، إنما بسبب الرسالة الشفوية التى نقلها السفير الإسرائيلى ، بمنتهى الدقة والحذر . أما الرسالة الشخصية إلى الرئيس السادات ، فلم تكن بها عبارة سياسية واحدة . إنما هى رسالة ودية عاتبة على ماتنشره الصحف من عبارات غير لائقة أحيانا ؟ !

واستدعى د . يوسف بورج سفيرنا السيد سعد مرتضى . وطلب أن يوضح له تصريحات المسئولين المصريين . .

واعترض السيد مناحم بيجين على تصريحات د . مصطفى خليل رئيس الوزراء السابق . الذى أعلن أنه كان يطلع مندوب منظمة التحرير الفلسطينية على سير المفاوضات . .

واحتج السيد بيجين على إطلاع الفلسطينيين على « دقائق » المشاكل بين مصر وإسرائيل ! .

وموقف السيد بيجين غريب حقا . فنحن إذا أطلعنا الفلسطينيين على شئ . فهو ماتعرفه إسرائيل . فليس سرا ما أطلعنا عليه الفلسطينيين – مع أنه قليل جدا ! . .

ولكننا لانعرف ما الذى يدور بين إسرائيل وبين الفلسطينيين ، وبينهم وبين الملك حسين . فالسيد بيجين عندما أعلن أن الحوار مستمر . منذ تولت حكومة حزب العمل ، مع الملك حسين ، غضب السيد شمعون بيريز لافشاء هذا السر . أى أنه من المفروض أن يتم الحوار سرا . ولكن مصر تجاهر بما تفعله ، وليس لديها ماتخفيه . .

وإذا كانت القضية الفلسطينية هى « المبرر » المستمر للمزايدات الانتخابية والتجارية ، فإنها ماتزال ستارا لإخفاء الفوضى ، وحمامات الدم فى ليبيا . فمنذ أيام طالب الرئيس القذافى الجيش المصرى بأن يثور على حكومته ، وإنه سوف يقف إلى جواره . فمصر « دولة استعمارية وقلعة رجعية » ؟ !

ولذلك أعلن الرئيس القذافى أن كل أسلحة ليبيا موجهة الآن إلى المدن المصرية والقواعد العسكرية ! لماذا ؟ . .

لأن مصر لم تفلح فى حل القضية الفلسطينية ، وأنها سرحت قواتها المسلحة ، وبذلك تكون قد استسلمت لإسرائيل . . ويسرت على القوات الليبية مهمة دخول مصر وحكمها حكما شعبيا وطنيا ؟ !

ومهما قال الرئيس القذافى ، فليس فى الأمة العربية جيش غير الجيش المصرى . وليس حرب أوسلام إلا بمصر وعن طريق مصر . ومصر تزداد قوة ، وجيشها يتسلح بأحدث الأسلحة . .

وسوف يتعالى صياح الرئيس القذافى عندما تلتقى أسراب الطائرات الأمريكية والمصرية فى تدريب يستغرق ثلاثة شهور ابتداء من يوليو القادم انطلاقا من مطار غرب القاهرة . . وسوف تلتقى طائرات مصرية وأمريكية فانتوم مقاتلة قاذفة قنابل فى الصحراء الغربية . وسوف يتوهم الرئيس القذافى أن هذا هو الإعداد للهجوم على ليبيا ، والاستيلاء عليها وتخليصها من الزعيم الواحد الأحد نبى الصحراء : معمر القذافى ! . .

ولأن الرئيس الليبى لم ينس الضربة التأديبية التى قامت بها مصر ، فهدمت مدرسة الطيران على رأس ألفين من الليبيين و ٣٠٠ من اليوغوسلاف ، فهو يتوهم أن كل ما تفعله مصر من استعدادات عسكرية وتدريبات مكثفة ، هو من أجل الهجوم عليه والاستيلاء على ليبيا . .

وليس هذا من آمال مصر . . وإن كان من هوس الرئيس القذافى أن يحكم مصر . وهذه القصة معروفة ، ولكن مصر لابد أن تكون فى حالة استعداد دائم ، فلا أحد يعرف من أين تهب رياح الكراهية على مصر أوعلى الدول العربية ؟ . .

❑❑❑

وسوف تستأنف اللقاءات التمهيدية لمباحثات الحكم الذاتى فى واشنطون ، فى موعد تال لزيارة الملك حسين لواشنطون . وقد تحدد ذلك اللقاء بين السادة لينودتس وكمال على وبورج يومى ٢ و٣ يوليو القادم .

وإن لم يكن من المتوقع أن تسفر زيارة الملك حسين عن شئ له علاقة بالضفة الغربية وقطاع غزة . . إنما سيكون الموضوع الأول فى لقائه مع الرئيس كارتر ، هو موضوع المياه بين الأردن وإسرائيل . . وبعض المعونات المالية والعسكرية ! . .

وسوف تجئ المباحثات هادئة، ويتطلع معها واثناءها إلى شىء يقضى على الملل – إنها طبيعة الشعوب ! □